

المسلمون في دول شرق أوروبا ومواجهة الإستعمار الأوربي

بقلم أ/أمل مطر العصيمي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ومرسوله الأمين سيدنا ونبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، ونذيراً وبشيراً للناس أجمعين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

قد بدأ انتشار الإسلام في أوروبا الشرقية عن طريق أولاً: التجار المسلمون الذين يتاجرون بالفراء والسلع، وفي ق ٣هـ وأوائل ق ٤هـ/ ١٠م اتخذ هؤلاء التجار مراكز لهم على ضفاف نهر الفولجا، ثانياً: عن طريق القبائل التتارية في ق ٧هـ/ ١٣م التي أسلمت وأستقرت في شمال البحر الأسود وفي أسفل حوض نهر الفولجا وبدأ المسلمون البلغارين بالهجرة إلى دول البلقان ولكن كان أثرهم ضعيف في تلك البلاد لقلة عددهم بالنسبة لسكان البلاد ولعدم تمكثهم من معرفة الدين الإسلامي لنشره بين الناس، وثالثاً: منذ حرص العرب المسلمون على فتح القسطنطينية وكانت لهم عدة محاولات، وأولى المحاولات في العصر الراشدي في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والثانية في العصر الأموي في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، والثالثة في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك، ثم المحاولة الرابعة بالعصر العثماني في عهد السلطان بايزيد الأول، والخامسة في عهد محمد الثاني الذي أستطاع أن يفتح القسطنطينية عام ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م ولقب بالفتاح.

سوف تتناول دول شرق أوروبا، وأهمها (دول البلقان) وكلمة البلقان تعني "الجبل" الذي سيطر على شبه الجزيرة وسميت به شبه الجزيرة البلقانية، وتفصل جبال البلقان بين الشرق والغرب عبر بلغاريا.

ومنطقة البلقان هي ثالث شبه جزيرة في أوروبا، إلى جانب إيطاليا وإيريا، تضم منطقة البلقان عدداً من البلدان، وتقع في أقصى الجنوب الشرقي من قارة أوروبا، وتحدها البحار من ثلاث جهات؛ حيث يحدها البحر الأدرياتيكي من الغرب، والأينوني من الجنوب الغربي، والأبيض المتوسط من الجنوب، والبحر الأسود من الشرق^(٤)، من أهم دول شرق أوروبا التي انتشر بها الإسلام:

١- ألبانيا: دولة بلقانية تقع جنوب أوروبا بالجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان، دخلها الإسلام في آخرات القرن ٨هـ، آخرات

١٣م من الفتح الإسلامي العثماني، الذي أخضعها لسلطان الدولة العثمانية في معركة (قوصوا) في عام ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م

^(٥)، حصلت على إستقلالها ١٩١٧م، ثم سيطر الشيوعيون على الحكم عقب الحرب العالمية الثانية^(٦)، وعزلت عن العالم وعملوا على

حرب الإسلام ففي عام ١٩٦٧م أغلقت ٢١٦٩ مبنياً مخصصاً لمساجد، وأعدم كثير من الأئمة ومرجال الدين بحجة الدعاية

ضد الدولة وحيانرة كتب دينية، ثم أعلنوا عدم الاعتراف بالدين وبثت الدعاية الإلحادية، وفي عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م بدأ شي من

الإنتحاح على العالم ولكن لايزال المسلمون يعانون بعدم وجود مؤسسة إسلامية واحدة تتولى تعليمهم أمور دينهم، فقد هدمت

مساجدهم ومنعوا إتخاذ أسماء إسلامية، ومنعوا مراسم الزواج الشرعية، والصلاة على الأموات، وغرسوا المبادئ الإلحادية، ويأمنهم

الشبوعية مرجع نشاط المسلمون وأعيد فتح المساجد وحرية العبادة والسفر والهجرة، ويمثل المسلمون فيها الغالبية العظمى أكثر

من ٨٥% من سكان ألبانيا، أما النصارى الكاثوليك والأورثوذكس فأقلية لا تتعدى ١٤% من السكان، والمسلمون من

أهل السنة الأحناف، وهذا أصبحت ألبانيا الدولة الوحيدة المسلمة في أوروبا:

٢- بوسغلافيا: من دول البلقان وهي جمهورية اتحادية تتكون من ست جمهوريات هي: صربيا وهي أكبر الجمهوريات

وعاصمتها مدينة بلجراد العاصمة الاتحادية، وسلوفينيا عاصمتها لوبليانا، وكرواتيا وعاصمتها مدينة زغرب، والبوسنة والهرسك

وعاصمتها مدينة سيراينفو، ومقدونيا وعاصمتها سكوبيا، الجبل الأسود وعاصمتها تيتوجراد، وظهرت هذه الجمهوريات في أعقاب

الحرب العالمية الأولى في تسوية مابعد الحرب^(٨)، وصل الإسلام إلى هذه الجمهورية التي يبلغ عدد سكانها أكثر من ٢٢ مليون نسمة

حتى عام ١٤٠١هـ بعد فتح صقلية في ق. ١٢٠٣هـ/ ٩م، إلا أنه انرداد بشكل كبير مع الفتح العثماني الإسلامي، ويشكل المسلمون حالياً حوالي ٢٠% من السكان في يوغسلافيا، وعندما ضعفت الدولة العثمانية أستولت النمسا على مناطق عديدة من يوغسلافيا وتعرض المسلمون للاضطهاد وعمليات التنصير، وأستقل بعضها مثل الجبل الأسود وصربيا، وأضطرت الدولة العثمانية إلى التخلي عن البوسنة والهرسك سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، ثم تعرض المسلمون إلى اضطهاد الأمر ثم ذلك مما أضر الكثيرين منهم إلى الهجرة خارج يوغسلافيا إلى تركيا والبلاد الإسلامية، وكانت سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك شرارة الحرب العالمية الأولى عندما أقتال طالب صربي ولي عهد النمسا فرديناند ونزوجته أثناء زيارته لسراييفو عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٤م، ثم بعد ذلك أحتلها الألمان والإيطاليون أثناء الحرب العالمية الثانية ثم أستقلت بعد هزيمة ألمانيا في جمهورية فدرالية، وبعد الحرب العالمية الثانية سيطر الشيوعيون على الحكم في يوغسلافيا بنزعة عامة تبتو فتعرض المسلمون لمذابح وصب الشيوعيون جام حقدهم وغضبهم عليهم فهدمت المساجد والمدارس الإسلامية وقد كان في ولاية البوسنة والهرسك قبل الحرب العالمية الأخيرة ١٧٠ مسجدا خربت جميعها ما عدا واحد بقي منها لكن هدمت مذبته وسادت موجة عنيفة ضد الدين بعامه وضد المسلمين بخاصة فقد قتل ٢٤ ألف مسلم بعد الحرب مباشرة منهم مفتي كرواتيا وكثير من علماء المسلمين أما بالإعدام أو السجن والأشغال الشاقة، ثم أنهارت وتفككت في أعقاب الأنهار الشيوعي.

وفي عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م أعترفت الدولة بكيان المسلمون وأصبح لهم كيان^(١٢)، وفي السنوات الأخيرة أصبح للمسلمين اتحاد يرأسه مرئيس العلماء ومجالس للعلماء، كما صار لهم مدارس ومساجد وغيرها من المؤسسات الدينية^(١٣)، تزايد عدد المساجد إلى ٢٧٠٠ مسجد، وانشئت المدارس الإسلامية مثل مدرسة خسرو بك بسراييفو^(١٤)، كما توجد بقايا للمؤسسات الإسلامية التي تعرضت للتدمير سابقا وصارت آثارا إسلامية تشهد على عظمة الإسلام في تلك البلاد هذا وقد أخذ عدد الحجاج اليوغوسلاف يتزايد سنة بعد أخرى في الآونة الأخيرة حتى حدثت مأساة البوسنة والهرسك منذ عام ١٩٩٤م واستقلال ولايات يوغوسلافيا في.

٣-المجر: دخل الإسلام إلى هذه الدولة البلقانية منذ ق ٤٤هـ/ ١٠م على يد بعض القبائل البلغارية المسلمة وأستقرت جماعه منهم المجر , كما اعتنق عدد من المجرين الإسلام بعد الفتح الإسلامي العثماني لبلادهم ٩٤٤هـ/ عام ١٥٨٦ م , خروجه العثمانيون من البلاد عام ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٧ م وقد ترك المسلمون آثار كثيرة هناك كالمساجد والمدارس والمكتبات, لم يبق منها إلا مسجد واحد , يبلغ عدد المسلمين في المجر حالياً ٤٥٠٠ مسلم يقيم منهم في العاصمة بودا يست قرابة ٦٥٠ مسلماً .

٤-بلغاريا: دولة صغيرة تشرف على البحر الأسود من الشرق , سميت بأسم قبائل البلغار التي أسلم كثير منها قبل ق ٤٤هـ/ ١٠م , ثم دخلها الإسلام بالفتح الإسلامي العثماني وأستغرق فتحها من عام ٧٧٤هـ- ٧٩٩هـ / ١٣٧٢ م - ١٣٩٦م^٥, وبقيت تحت الحكم العثماني حتى مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ م , وأنفصلت عن الدولة العثمانية بدسائس الدول الأوروبية وإثارة التفرقات القومية^٦ وعندها حصلت على استقلالها وأصبحت مملكة عام ١٩٠٨ م , وعدد سكان بلغاريا ٩ ملايين نسمة , بينهم ما يقرب ٤ ملايين من السكان مسلمين , حيث يتكونون من البلغار الذين اعتنقوا الإسلام , ومن العثمانيون الذين استقروا منذ الفتح بها , إلى جانب بعض التتار الذين نرحوا إلى بلغاريا , ويتعرض المسلمون للإضطهاد من جانب السلطات الشرعية المحاكمة إذا منعوا من الحج وليست لهم مدارس خاصة , كما حاولت الحكومة تنصير المسلمين بالقوة وأجبرت النساء على السفور وهدمت المساجد وحظرت التحريم يوم عيد الأضحى , كما منعت الحكومة البلغارية المسلمين من دفن موتاهم على الطريقة الإسلامية وأجبرتهم على الدفن في صندوق على الطريقة المسيحية بكامل لباس الميت , ومنعت المسلمين أيضاً من عقد زواجهم بعقود إسلامية وأجبرتهم على الزواج بالطريقة المتبعة عندهم , كما دأبت على منع المسلمين من الصلاة بمساجد القرى الإسلامية حتى أهملت هذه المساجد وصارت مهددة بالسقوط بل ومنعت المسلمين من استعمال المواصلات العامة , وقد أدى كل ذلك إلى جعل المناطق الإسلامية متخلفة عن بقية المناطق^٧ , وبعد الحرب العالمية الثانية لقي المسلمون الاضطهاد على يد الشيوعيين الذين استولوا على السلطة في البلاد عام ١٩٤٥ م , واصلوا هذه السياسة من اضطهاد للمسلمين ومنعوا التعليم خاصة الإسلامي مما اضطرب بعض المسلمين من تعليم أولادهم سرأ عنهم وعزلوهم عن عالمهم الإسلامي تماماً ومنعوا دخول المصاحف البلاد وأغلقوا المساجد ومنها ما حول إلى متحف أو كنيسة , وأجبروهم على تغيير أسمائهم

الإسلامية محاولين تذيب المسلمين في المجتمع الشيوعي الملحد، ولقد قاوم المسلمون ذلك عام ١٩٨٩م تبعثها حركة تهجير وطرد للمسلمين إلى تركيا.

وبعد أنهبام الشيوعية سمح للمسلمين البلغار بالعودة إلى بلغاريا، وبدأت بعض الهيئات الإسلامية تظهر للوجود ولكن تقف السلطات للمسلمين بالمرصاد، ما لم يتحرك المسلمون من خلال منظماتهم للذود عنهم.

٥- رومانيا: تقع شمال شرق البلقان، دخل الإسلام إليها عن طريق الدعوة في ق. ٧٠هـ/١٣م، ثم بالفتح الإسلامي العثماني لتلك البلاد منذ عام ١٤٨٤م، وترك العثمانيون رومانيا عقب الحرب العالمية الأولى، حيث تعرض المسلمون لألوان من الإضطهاد وهاجر كثير من المسلمين إلى تركيا، وفي عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م يقدر عدد المسلمين في رومانيا بمليونين ومائتان وعشرون ألف مسلم ثم وصل قبل الحرب العالمية الثانية إلى ٢٦٠ ألف نسمة^(١) ثم زادت هجرتهم بعد الحرب العالمية الثانية، وخاصة بعد قيام الحكم الشيوعي في البلاد فوصل عددهم ١٣٩١هـ/١٩٧١م إلى ٩٠ ألف فقط، مما لقي المسلمون من إضطهاد ومضايقات وبالرغم من ذلك حافظت بعض المناطق على أوضاعها الإسلامية مثل مدينة المجيدة جنوب رومانيا، ويوجد للمسلمين مقبى أكبر لهم، ومسجد في بوخارست العاصمة (كارول).

٦- اليونان: دخلها الإسلام أثناء الفتح الإسلامي العثماني في ق. ١٥م، ثم عملت الدول الأوروبية في اليونان على إثارة

الأهالي ضد العثمانيين وقتكوا بالمسلمين ولم يتمكن الأسطول العثماني من السيطرة على الأوضاع، فأرسل السلطان العثماني

(محمود الثاني) حملة عسكرية إلى والي مصر محمد علي باشا وبدوره أمر سل الحملة بقيادة ابنه إبراهيم باشا ونجح في السيطرة

على جزيرة كريت، ثم اقتحم أثينا في عام ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م، وعندئذ تحركت بريطانيا وفرنسا وروسيا مطالبين

باستقلال اليونان طبقاً لمصالحهم الشخصية وعقدوا مؤتمر لندن عام ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م، وتمكنت أساطيلهم من إجبار قوات محمد

علي باشا على الانسحاب من اليونان، وحصلت اليونان على إستقلالها ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م، ولذا تأثر الإسلام في اليونان بهجرة كثير من العثمانيين المسلمين ومع ذلك توجد أقلية مسلمة منهم باليونان حتى وقتنا الحاضر.

٧- كريت ورووس: دخل الإسلام إلى جزيرة كريت منذ القرن الثالث الهجري، ثم تعرضت الجزيرة لضغوط من مختلف القوى الخارجية كالدولة البيزنطية والبنادقة، وتعرض المسلمون أثناءها لاضطهاد شديد حتى فتحها العثمانيين عام ١٦٦٩م فأصبح نصف سكان الجزيرة مسلمون، اضطروا العثمانيين إلى ترك الجزيرة عام ١٨٩٨م، وقد تسليمها لليونان عام ١٩٠٨م وقد هاجر كثير من مسلمي كريت إلى مصر وإلى برقة، هربا من الاضطهاد المسيحي الأوروبي حتى كادت الجزيرة أن تخلو من كل أثر للإسلام، وأما جزيرة رووس فقد دخلها الإسلام حين فتحها المسلمون في القرن الأول الهجري، ثم دخلها العثمانيون منذ عام ١٥٢٢م، وقد أصبحت رووس عقب الحرب العالمية الأولى تابعة لليونان.

٨- مالطة: جزيرة تقع جنوب صقلية وقد دخلها الإسلام على يد الأغلبية حكام تونس منذ عام ٢٥٦هـ، ولكن النورمان استولوا عليها عام ٤٨٣هـ، فأصاب مسلميها ما أصاب مسلمي جزيرة صقلية من اضطهاد وتهجير، حتى الفتح الإسلامي العثماني لها عام ٩٥٩هـ / ١٥٥٢م وأصبح للإسلام نشاط بالجزيرة، ثم احتلها الإنجليز أواخر ١٨م، أثناء مطاردة الأسطول الإنجليزي للحملة الفرنسية على مصر، وظلت خاضعة للإنجليز حتى حصلت على استقلالها ١٩٦٤م في إطار مجموعة دول الكومنولث، نسبة المسلمين بمالطة هي ١١%، وتشهد نشاط ثقافي ووجود بعض المؤسسات الإسلامية فيها كالمساجد وغيرها.

٩- أقطار أخرى في شرق أوروبا: توجد جماعات مسلمة في عدة جمهوريات أوروبية داخلية ضمن الاتحاد السوفيتي سابقاً، وهي مناطق مجهولة ومعزولة عن العالم الإسلامي، مثل جمهورية كاريليا، وإستونيا، ولاتفيا، ولبتوانيا، ومولدافيا، وأوكرانيا، وروسيا البيضاء، وقد ألحقت كاريليا وأوكرانيا وروسيا البيضاء بجمهورية روسيا الاتحادية، ولقد تعرض المسلمون لاضطهاد وعزلة من

قبل الشيوعيين . وإن مسلمي الجناح الأوربي منهم يتكلمون باللاتينية والروسية , ومن ثم توجب على المسلمين منحهم منح دراسية لطلاب العلم من أبناء هؤلاء المسلمين حيث يؤخذون إلى مصر لأجل تعليمهم أصول اللغة العربية والدين الإسلامي الحنيف .

أسباب ضعف وإنهيار الدولة العثمانية في شرق أوروبا:

١- بدأ التدخل الأوربي في شؤون الدولة العثمانية عن طريق الامتيازات الأجنبية في بادئ الأمر وكانت هذه الامتيازات بسيطة في بدايتها ولا تشكل خطراً على الدولة فالعثمانيون أقوياء وقتذاك ويستطيعون إلغاء هذه الامتيازات متى شاءوا ، لكن هذه الامتيازات تحولت فيما بعد إلى اتفاقات ثنائية بحيث أصبح في مقدور السفن الأوروبية دخول الموانئ العثمانية بل وصل الأمر إلى حد التدخل القنصلي في شؤون الدولة العثمانية ، واستقطاب أوروبا للأقليات النصرانية القاطنة في الولايات العثمانية وأدى ذلك إلى إشعال بؤر الفتن وإيجاد ذريعة للتدخل الأوربي بحجة حماية الرعايا النصارى .

٢- تسمت علاقة الدولة العثمانية بالدول الأوروبية بالعداء في معظم أحوالها ، وكان الأوربيون يعتمدون بناء التحالفات فيما بينهم لجابه المد العثماني .

٣- فقد العثمانيون بموجب معاهدة كامرلوقتش إقليم (ترانسلفانيا) ومعظم بلاد المجر لصالح النمسا ، وإقليم آتراق لصالح روسيا وإقليم دلماسيا وقسم من جزيرة المورة لصالح البندقية ، سارت أمور الدولة العثمانية بعد معاهدة كامرلوقتش من سيء إلى أسوأ ، إذا خسرت معركة بيترونتاليتين مع النمسا معركة بتر واردين سنة ١١٢٩هـ ومعركة (بلغراد سنة ١١٣٠هـ ، ثم بمعاهدة سارلوقتش التي تعد من أشد المعاهدات إذلالاً للدولة العثمانية وإهداماً لكرامتها وسمعتها في أوروبا فموجبها فقد العثمانيون ما تبقى لهم من أراضي المجر لصالح النمسا كما أخذت النمسا منهم المجر الأكبر من صربيا ، وقسما من ولاشيا ، وقسما من البوسنة ، ثم بمعاهدة كامرلوقتش حصلت روسيا بموجبها على حرية الملاحة للسفن الروسية التجارية في المياه العثمانية ، واعتراف العثمانيين للروس بحقوقهم في حماية الكنائس الأمر ثوذكسية في استانبول ، وسيطرة الروس على بعض المناطق الواقعة

شمال البحر الأسود، وإجبار العثمانيين على التخلي عن سيادتهم على منطقة القرم لصالح الحكام المحليين في المنطقة.

٤- خسرت الدولة العثمانية بعد حرب البلقان الأولى عام ١٩١٢م أكثر من ثمانين بالمائة من أراضيها بالقسم الأوروبي وبسبب ذلك بدأ التدفق الكبير لنحو مليونين ونصف المليون مسلم من الأراضي العثمانية السابقة في أوروبا إلى داخل الدولة العثمانية، ثم دخلت الدولة العثمانية مع الصرب واليونان ضد بلغاريا في حرب البلقان الثانية ١٩١٣م كطرف ثالث لاستعادة أدرنة وشرقي تراقيا، وبموجب معاهدة بوخارست سلمت بلغاريا شرق تراقيا ومدينة أدرنة للعثمانيين.

٥- معاهدات الصلح التي وقعنها دول الحلفاء مع الدول الأخرى بعد الحرب العالمية الأولى نتج عنها استقلال الجمر - وتكونت يوغسلافيا من صقالبه (البوسنة والهرسك وساحل دالماشيا) والصرب - وتكونت تشيكوسلوفاكيا من صقالبه الشمال (بوهيميا، وموراافيا، وسيليزيا) - ضمت فاليسا إلى بولندا، فقدت الجمر حوالي نصف مساحتها، وضمت رومانيا إقليم ترانسلفانيا الغني بمناجمه وغاباته، وفقدت بلغاريا بموجبها سواحلها على بحر ايجه الذي ضم لليونان كما عدلت حدودها الغربية لصالح يوغسلافيا، فقد العثمانيون بموجبها امبراطوريتها في أوروبا مع اعداء القسطنطينية، وشاطئ بحر مرمرية. وشبه جزيرة غاليلولي، تغيرت حدود تركيا الأوروبية فتنازلت عن جزر بحر ايجه لاطاليا واليونان وعن قبرص لبريطانيا وتقرررت حرية الملاحة في المضائق على أن تشرف عليها لجنة تحت رعاية عصبة الأمم المتحدة، ونتيجة تسويات الصلح بعد الحرب العالمية الأولى أنهامرت الدولة العثمانية في أوروبا وظهرت دول جديدة في أوروبا مثل تشيكوسلوفاكيا ولتوانيا وبولنده، ثم إلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م وأصبحت جمهورية تركيا العلمانية.

